سيميائية العنوان في الرواية العربية المعاصرة
(همس الشبابيك) للكاتب الأردنـــي سمير الشريف أنموذجا

د. نجاة عمار الهمالي - كلية التربية ـ جامعة طرابلس

تقديم :

أولت الدراسات الحديثة العنوان اهتماما كبيرا ، فهو أساس كل خطاب ، والواجهة التي تلخص المتن ، ويشكل عتبة مهمة للعبور إلى فهم النص ؛ لذلك توجه المبدع إلى التفنن في انتقاء عنونة نصه ، ويرجع هذا الاهتمام كونه أولى العتبات التي يقابلها القارئ ، و الخطوة الأولى من خطوات الحوار مع النص .

أهمية الدراسة :

عزمتُ على استنطاق العنوان في الرواية العربية ، و مفاتشته سيميائيا ، فكانت روايـــة : (همس الشبابيك) للكاتب الأردني سمير أحمد الشريف * أنموذجا ؛ لانفتاح عنوانها الخارجي على عـــدة دلالات ، وكذلك عناوينها الداخلية بتركيبها الفريد ، حيث تفتح آفاقا واسعة للدراسة ، والمتن يعد من الروايات التجريبية (الرواية البولفونية).

مشكلة الدراسة :

سلك الكاتب طريقا وعـــرا مميزا ، ولنجيب على الأسئلة التي يثيرها العنوان لدى المتلقي : لماذا هـــذا العنوان ؟ أو ما الذي يربط العنوان بالنص ؟ ما أثر العنوان على المتلقي ؟ هل نجح الكاتب في صياغة عناوين جاذبة للمتلقي ؟ ولتكون الإجابة شافية سنعمل على استكناه الأبعاد الدلالية ، والرمزية ، وتفكيك العنوان بغية الوقوف على سبل توظيفه في هـذه الرواية .

خطة الدراســـة :

وقد قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة ، وتمهيد ، ومطلبين وخاتمة ، ففي التمهيد تم التعريف بالعنوان لغة واصطلاحا ، وفي المطلب الأول : سيميائية العنـــوان الخارجي ، والمطلب الثاني : العناوين الداخلية ، ثم الخاتمة وفيه أهم النتائج التي توصلت إليها .

تمهيد :

العنـــوان : أهم عناصر النص (النص الموازي) ، ويعد أحد المفاتيح الأساسية التي علينا أن نحسن قراءتها و التعامل معها و من ثم تأويلها ، و قبل تحليل العنوان قيد الدراسة ، علينا الالتفات إلى مفهومه في اللغة و الاصطلاح .

العنوان لغة : جاء في لسان العرب " عنَّ الشيءُ، يَعِنُّ ويَعُنُّ عَننًا و عُنُونًا : ظهر أمامك ، وعننتُ الكتاب و أعننته لكذا أي عرَّضته له و صرفته إليه ...و كلما استدللت بشيء تظهره على غيره فهو عنوان له " ([1]) فالعنوان هو الاسم الظاهر على الكتاب به يشهر و يسمّـى، وهو ما يميز الكتب عن بعضها.

العنوان اصطلاحا:" العنوان للكتاب كالاسم للشيء، به يعرف و بفضله يتداول ،يشار به إليه ، و يدل به عليه يحمل وسم كتابه "([2]) ، فهو يمثل ملخصا لما سيقال ، و العنوان " مفتاح تقني يجس به السيميولوجي نبض النص، و يقيس به تجاعيده، ويستكشف ترسباته البنيوية وتضاريسه التركيبية على المستويين : الدلالي و الرمزي "([3]) وقد يشف أحيانا بمضمون النص ، و أحيانا يغلفه الغموض ، لذلك" يبقى العنوان جملة مضغوطة لا تبوح بكل شيء بل تحيلنا إلى المتن الذي قد تعثر فيه على الخبر "([4]) ولا تنحصر مهمته في كونه اسما على كتاب؛ بل إنه " يفسر شيئا ما وأنه يحمل هذا الشيء وأن عنونة شيء بعينه تُعد سمة هذا الشيء ومعناه و مقصده "([5]) فالعنوان هو البصمة التي تسم النص فيتكون كيانه به .

المطلب الأول ــ سيميائية العنــوان الخارجي :

الغـــــــلاف : " أول ما نقف عنده ، وهو الشـــيء الذي يلفت انتباهنا بمجرد حملنا ورؤيتنا للرواية ، لأنه العتبة الأولى من عتبات النص المهمة([6]) ، وهو حيّــز محدود لا علاقة له بالمكان الذي يتحرك فيه شخوص الرواية بل له علاقة مباشرة بالقارئ ، إذ يعد الغلاف العتبة الأولى التي يلتقيها ، ونلحظ فيه تشكيلا واقعيا ، يشير إلى أحداث الرواية بشكل مباشر ، حيث يوجه المتلقي إلى استيعاب فكرة العمل و فهمها ([7]) عبر لوحة واقعية تتصدره ، تشـــي بما في المتن ، وهي من صنع الفنان محمود الرجبي فاللوحة عقد مشترك بين الفنان التشكيلي والمؤلف ، حيث جعل من غلاف الرواية خطابا بصريا إيحائيا ، وعادة ما يُقسّـــم الغلاف إلى قسمين أساسيين هما :

قســم علوي : و يكتب فيه اسم المبدع ، وعنوان إبداعه " ، وهما يمثلان الملكية الخاصة للمؤلف ، ويجســـدان دور العمل الفني لهذا الفضاء الخارجي ([8]) .

قسم سفلي : يتصف بالبساطة و المادية وتدوّن عليه معلومات النشر .

لكننا نجد العنوان في الرواية قيد الدراسة ، قد كتب أعلـــى صفحة الغلاف ، يليه بمسافة في منتصف الغلاف إلى اليمين من الكتاب تصنيف أو تجنيس له بأنه رواية ، ثم في الأسفل اسم الكاتب ، يليه مباشرة معلومات النشر ، و كأن الناشر لا يبدي اهتماما

لكل تلك الشكليات ، وما يعنيه مكان اسم المؤلف وعنوان مؤلفه ، واهتم فقط بحجم الخط ولونه .

وبقراءة أخـــرى يمكننا تفسير كتابة اسم الكاتب أسفل الغلاف ، كتوقيع على عمل يقدمه إلى قرائه ، فاسم المؤلف يثبت هوية الكاتب ، ويحقق ملكيته الأدبية والفكرية ، لذلك توقفنا عند دلالة مكانه ، و لونه ، و شكله .

أ- الصـــــورة : تعد علامة أيقونية ، فهي خطاب يناوش دواخل القارئ فتثير لديه انفعالات القبول أو الرفض للكتاب " ، ويبدو أن حضور هذه الرسوم الواقعية يقوم بوظيفة إذكاء خيال القارئ ، لكي يتمثل بعض وقائع القصة ، وكأنها تجري أمامه "([9])، وفـي هذه الرواية تحمل صـــورة الغلاف دلالة ايحائية للعنوان (همس الشبابيك) ، حيث نـــرى في الصورة رجلا يجلس أمام شباك زجاجـــي ، مطل على الشارع فـي يوم ممطر ، ينظر عبـــره إلى امرأة تدخل مبنى على الضفة المقابلة له ترتدي فستانا أنيقا قصيرا ، بيدها اليمنى مِظلة ، و باليد الأخـــرى حقيبة على هيئة قيثار ، يجلس الرجل في مكان تكاد تنعدم فيه الإضاءة إلا من نور خافت ينبعث من مصابيح الشارع ، حيث تنعكس الظِّلال على كل ما حوله قيثار صغير قد وضع بعناية أمامه قرب الشبّاك ، وعلى جانبه الأيسر طاولة ينعكس عليها ضوء الإنارة الخارجية وضع عليها كوبا من الخزف وإبريق الشـــاي ، الصورة تراوغ القارئ من ناحية ، وتجذبه إلى الحدث الرئيس في الرواية من ناحية أخـــرى ، فهي تعطي انطباعا أوليا بأن الرواية رومانسية تـــروي قصة من قصص العشق وفي ذات الوقت تهمس بما جاء في العنوان (همس الشبابيك) يحمل لنا تلك الدّلالة وجود الشباك في الصورة ، وجلوس الرجل أمامه، و النظر عبره إلى الخارج حيث القصص المتنوعة للبشر ، يوحـــي خفوت الإضاءة داخل الغرفة بالغموض ، و- أيضا - يلمح إلى التجسس أما وجود القيثار فله دلالة الإبداع ، والتألق ، والصفاء الروحي ، فالموسيقى غـــذاء الروح ، بها تسمو وتسبح في الملكوت ، وهنا تناقض في صفة الرجل الجالس أمام الشباك كتناقض المجتمع في حمل ثنائية السلوك البشري (الخير والشر، والسلبية والإيجابية ، والرقي والانحدار ... إلـــخ).

ب- **الخـــط و اللـــون**: كُتب بخط النســـــخ ، باللون الأبيض ، يمين الصورة أعلى الغلاف (سلسلة الرواية العربية المعاصرة) ، ورقمها (17) ، وكتب في منتصف أعلى صورة الغلاف عنوان الرواية (همس الشبابيك) باللون الأصفر ، بخط (النسخ الهندسي) ، وتحتها بمسافة (عنوان تجنيسي) ، أي : تصنيفها أو تجنيسها (رواية) باللون

الأبيض بخط (الرقعـــة) وجاء اسم الكاتب ثلاثيا في أسفل وسط الغلاف (سمير أحمد الشريف) باللون الأحمر ، بخط النسخ ، وفي أسفلها باللون الأبيض معلومات النشر بخط (نسخ مبتكر) دار كتابات جديدة للنشر الإلكتروني ، طبعة أولى ، نوفمبر 2015 م ، واستخدم الناشر خط النسخ بأشكاله المستحدثة ، والقديمة ، وهو خط مقروء وواضح لكل القراء بمختلف ثقافاتهم ، وفي ذلك دلالة على أن الرواية واضحة لا غموض فيها ، برمزيتها القريبة من الفهم ، وعمقها البعيد عن الطلاسم ، وتركزت ألـــوان الكتابة على الغلاف في الأبيض والأحمر ، والأصفر ، فجاءت معلومات النشر وتجنيس العمل باللون الأبيض الذي يحمل دلالة الثراء والرقي والنقاء والسلام ، وهي صفات يـــود الناشر أن يرسخها في ذهن القارئ من خلال مدلولات اللون الذي يؤدي دورا مهما في عملية الإبداع الأدبي و جذب القراء، واختـار الناشر اللون الأصفر المحدد بالأحمر للعنوان الذي كان بارزا بحجمه الكبير، وشكله الهندسي الجذاب ، ويحمل هذا اللون دلالة الجمال ، والتألق ، والحيوية ، وهو لـــون صريح يعكس صراحة المتن وما يحمله ([10]) ، ولـوّن اسم المؤلف باللون الأحمر الذي تحمل دلالته طابعا متناقضا في ثقافة المجتمع ، فكما يحمل دلالة الرومانسية و الحب والإشعاع والثورة ، يحمل أيضا دلالة الدم و القتل ، وهو هنا يحسب اعتقادي يحمل الدلالة الأولى لأنها تعكس تلك الأصوات المتقدة داخل المتن الروائي ، بعد صفحة الغلاف تأتي الصفحة الأولى تحمل العنوان بخط النسخ ، في وسطها من الأعلى ، باللون الأزرق السماوي تحته على اليسار كتب باللون الأحمر تجنيسها (رواية) ، ثم اسم الكاتب في منتصف أسفل الصفحة ، باللون الأزرق السماوي ، بخط النسخ ،أسفله مباشرة معلومات النشر باللون الأحمر ، وقد اختلفت مواضع الألوان في هذه الصفحة عن الغلاف ، فاللون الأزرق السماوي لوّن به اسم الكاتب و العنوان ، و في هذا اللون دلالة الأمل ، فاقتران الأمل بالعنوان و الكاتب في محله ؛ إذ يعكس نفسية الكاتب الذي ينتظر بأمل خروج عمله إلى النور ، وصار اللون الأحمر من نصيب تصنيف العمل ومعلومات النشر، ولاشك أن دلالة اللون فيهما الإشراق و الدفء، وربما الثورة في مجالهما .

العنوان الخارجـــي : يُعـدّ " العنوان الخارجي من أهم الدوال السيميائية التي تحدد محتوى النص، ومن أهم العلامات التي تؤشر على مضامين البنية الإبداعية ، إن سطحا، وإن عمقا "([11]) اختار الكاتب عنوانا لروايته يمارس من خلاله " وظيفة الإغراء والإغواء ، ... بجذب فضول المتلقي لشراء العمل، والإقبال عليه قراءة وإنتاجا "([12]) (همس الشبابيك) عنوان خارجي ، يتكون من كلمتين(همس) كلمة مفردة ، وتعني :

الصوت الخفي ، أو" الكلام الخفي لا يكاد يفهم "([13]) ، و(الشبابيك) جمع تكسير على وزن فعاعيل ، مفردها شُباك ، وهـــو النافذة التي تشبك بالحديد أو بالخشب "([14]) ، وهي صلة الوصل بين الداخل والخارج ، إذ نطل عبرها على العالم الخارجي ، و نلحظ أن العنوان جاء جملة اسمية تتكون من مفرد (همس) ، و جمع (شبابيك) ، وهي خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هذا همس الشبابيك) ، وهمس مضاف ، و الشبابيك مضاف إليه ، فالعنوان بنية سطحية أصابها الحذف ، حذف المبتدأ اختصارا واختزالا لما هو عميق في المتن الروائي ، و تفيد الجملة الاسمية التقرير والثبات، لتأكيد مضمون النص ، وبقراءة أخرى تكون (همس) مفعولا به لفعل محذوف تقديره (اسمعوا همس الشبابيك) ، وهنا الجملة الفعلية تفيد التغير والتبدل ، وقد ينفتح باب التأويل على تأويلات أخر فباب التأويل مفتوح بما يخدم العمل الأدبي ، ونكون بتلك التأويلات أمام (ســـارد) يشي به العنوان ، فالشبابيك هي من ستهمس لنا بكل أحداث الرواية ، و المفارقة أننا نطل من الشباك على الخارج ، ولكن في هذه الرواية ستكون الإطلالة من الخارج على الداخل حيث المتن و الحكايات ،فالشبابيك وسيلة نشر المسكوت عليه ، المعتم السري ، الداخلي ، و سنستمع إلى همسها من خلال العناوين الداخلية التي ستبرهن لنا على مدى الترابط بين العنوان الخارجي والمتن .

3- الاستهلال : " يعنى بإنتاج خطاب بخصوص النص ،لاحقا به أو سابقا له " ولم يأت هنا لتوضيح فكرة الكاتب ، أو شرحا لنصه ، بل إيماء و إيحاء ، لما يريد أن يشير إليه ، و إلى مقصديته من تجربته الروائية ،فهو يستفتح الرواية بعتبتين الأولى آية من القرآن الكريم ، و الثانية عنونها (عتبة) فيها حديث الذات عن حبيبة قد تكون معادلا للوطن .

1- استهل الكاتب روايته بآية قرآنية من سورة المؤمنين (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا و أنكم إلينا لا ترجعون ؟) وهي تحمل دلالة الموعظة و العبرة ،فالله سبحانه و تعالى لم يخلق البشر بدون هدف و غاية ، و سيرجع البشر إلى رب العالمين ،وهو قادر على ذلك ،ليحاسبهم على أفعالهم ، وهذا ما يسعى الكاتب لأن يصل إلى القارئ ، من خلال ما تحمله الرواية من أحداث .

2- جاءت العتبة بمثابة مدخل للرواية و مقدمتها ، من خلالها يبرز صوت الراوي بضمير المتكلم ، وهو يمهد عبرها للقارئ أحداث المتن ، كأنه يقدم تأويلا لها .

المطلب الثاني ــ العناوين الداخلية :

في اختيار الكاتب للعنونة الداخلية دلالة على مشاركته في صناعة الأحداث، وقد جاءت الرواية في (186) صفحة ، من القطع المتوسط ، نفصّلها كالآتي :

يبدأ الكاتب ترقيم روايته من أول صفحة بعد الغلاف ، وهي صفحة العنوان ، وتنتهي عند صفحة 177 وهو نهاية أحداث الرواية ، (والصفحات 178-180) ، والصفحات (181-183) تعريف بالناشر ، و أخيرا الفهرس و قد استهلك صفحتين (184 -186) .

تتوزع فصول الرواية على اثنين و أربعين عنوانا كالآتي :

ر.م	العنـــــــــــــــــــــــوان	عدد مرات وروده
1	شباكه	9
2	شباكها	9
3	شباك الجارة	1
4	شباك الأرشيف	1
5	شباك الأوراق	1
6	شباك اليوميات	1
7	شباك الطبيب	3
8	شباك السارد	1
9	شباك بواب العمارة	2
10	شباك المؤلف	1
11	شباك عامل التنظيفات	1
12	شباك الصوت	1
13	شبك التنظير	1
14	شباك الطفولة	2
15	شباك الزوج	1
16	شباك الكتابة للطفل	1
17	شباك المنفى	1
18	شباك السؤال	1
19	شباك الخيبة	2
20	شباك لماذا كرهت أبي ؟	1
21	شباك الخشية	1
22	شباك الطباعة	1
23	شباك الإقالة	1
24	شباك القراءة	1
25	شباك الكواليس	1
26	شباك الختام	1

من خلال الجدول السابق ، نرى تفاصيل العنوان الخارجي (همس الشبابيك) ،حيث يُفَصّل تلك الشبابيك ،و يجعل منها عناوين داخلية (فرعية) للرواية ، و يكرر بعضها بما يخدم أفكاره لكل فصل .

وما يلفتنا في هذه العناوين أنها تتناص مع العنوان الخارجي في اختيار الكاتب لمفرد شبابيك(شباك) كلازمة لكل العناوين ، و كلها جمل اسمية ، خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هذا شباك) وصيغت أغلب العناوين من كلمتين و مكونين اسمي و إضافي ،و كل شباك أضيف إلى اسم (شباك الجارة – شباك الأرشيف ...) ،و أحيانا أخر إلى ضمير غائب للمذكر، أو ضمير غائب للمؤنث (شباكه – شباكها) و قد تكرر هذان العنوانان تسع مرات لكل عنوان ، لأنهما يمثلان بؤرة الحدث في الرواية ، و أيضا هما بمثابة حوارية بين بطلي الرواية .

وصيغت أربعة عناوين من ثلاث كلمات أو أكثر وهي :(شباك عامل التنظيفات ، وشباك بواب العمارة ، وشباك الكتابة للطفل ، وشباك لماذا كرهت أبي ؟) وجميعها خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هذا شباك عامل التنظيفات – هذا شباك بواب العمارة .) ، والجملة الاسمية تفيد الثبات و عدم التغير ، فالكاتب يسجل عبرها (أي الشبابيك) نظرته للحياة و المجتمع من حوله ، و آراءه السياسية المنعكسة على حياة الناس في المجتمعات التي يتحدث عنها في روايته .

ما أن نجتاز عتبات الرواية الأُول ،حتى يقابلنا أول العناوين الداخلية (شباكه) مرقما بالرقم (1) و في ذلك دلالة على أن أرقاما و عناوين و شبابيك أخرى ستقابلنا أثناء تجوالنا في فضائها.

من خلال الشباك الأول يطل علينا السارد بضمير المتكلم (وحدي أصوات منسية.

أطياف تجتازني

وجوه تستيقظ

تهب من ماض مجهول

تتكسر صورة العالم

تهب الذكريات باهتة

الورق يبعث فيّ قلقا جارحا ...)([15])

بهذا الشكل العمودي ، و بأسلوب شاعري يبدأ الرواية ، متحدثا عن دواخله مستبطنا ذاته ، يستعيد ذكرياته ،فهناك ما يعيق اطمئنانه ، و لا يستمر السارد في حديثه بضمير المتكلم ؛ بل نجده يتراوح بين متكلم الذات (وحدي بين الأوراق ، أعاقر دفء الذكرى)[16]

والمتكلم الجمعي (جلسنا منكسرين على حافة الغياب) ([17]) ، و الغائب (ينثر صمته الفضيّ ،حنين لرؤية وجه، مبعثر بين ورقة ونافذة وطيف حبيب)([18]) ، الأفعال تحت هذا العنوان في مراوحتها بين متكلم الذات و المتكلم الجمعي و الغائب هي على النحو التالي :

أفعال متكلم الذات:←أمحق – أغرق - أعاقر– **أسترجع – أنظر – أدركت– أدلها**

دلالة سلبية دلالة إيجابية متغيرة

أفعال المتكلم الجمعي : جلسنا – نلتصق – نتماهى - نغدو← دلالة الوصال

أفعال بضمير الغائب المذكر : يبعث- يغفو-يوقظ –ينثر- يستصرخني –يذكي .

أفعال بضمير الغائب المؤنث : تجتازني –تستيقظ – تهب – أضحت – صيرتني – تهاتفني –تسرح- تفتح- تبعثرني -أثارت – منحتني .

يطغى على أفعال الغائب دلالة النهوض و التحول من حالة اللامبالاة و الخمول إلى اليقظة و التنبه وهذا ما يحاوله السارد مع ذاته و ذكرياته .

في العنوان الثاني(**شباكه 2**) تتغير طريقة الكتابة إلى أفقية ، وهو الشباك الثاني الذي نطل منه إلى الداخل حيث السارد يستمر في تعريفنا بذاته و بالبطلة التي تشغل حيزا من الرواية ، ولاتزال أدواته و آلياته ، ذاتها في الشباك الأول ، حيث يبتدئ بضمير المتكلم (لو كنتُ صادقا مع نفسي، هل أجيب عن سؤال صغير : لماذا ياسمين ؟) ([19]) ثم يتجه إلى مخاطبة ذاته (كم تتمنى أن تسمع منك شيئا عن الأماكن القابعة في وجدانك ...)([20]) لنجده يتحدث عنها بضمير الغائب مع خطاب للذات (وقفت بك على جسر من مشاعر، تعلمك كيف نتفهم ونرثـــي من يسيئون لنا حتـــى نتذوق طعم الوجود)([21]) ، فتعدد الأصوات أو تداخلها ما يميز الشباكين فتكون صياغة الكلام كالآتـــي :

وقفتْ+ يسيئون ←غائب/بك +تعلمك← مخاطب /نتفهم +نرثي+ نتذوق← متكلم جمعي

يتغير الشباك في العنوان الثالث (**شباك الجارة**) و يأخذ أصغر حيز في الرواية ، صفحة واحدة ، وفيه تطل الجارة لتحدثنا عن بطلة الرواية (ياسمين) ، فالصوت السارد هنا يختلف عن الصوت في الشباكين السابقين ،ففيه يرتفع صوت الواعظ الذي يحث على التواصل الاجتماعي ، مرفقة الوعظ بحديث نبوي يؤكد قولها ، وهو صوت أحادي ، يتكلم بضمير الغائب (جارتي التي يسمونها ياسمين ...)([22]) .

ينتقل بنا العنوان الرابع إلى شباك جديد (**شباك الأرشيف**) حيث يتغير الصوت ، فيكون صوتا إخباريا سياسيا ينهل من معين الذاكرة (الأرشيف) ، و كأنه يؤطر زمن أحداث روايته ، ويجعل منه خلفية مرجعية لتحركات شخوصه ، فيبدأ بقوله :

(دخلت أمريكا العالم العربي تحت مسمى ما يعرف الآن بالجامعة الأمريكية ...)[23]

ويلخص أحداثا تاريخية لحقبة زمنية لها أثر بالغ و انعكاسات خطيرة على الأمة العربية ،في أربع صفحات سردية ،وثائقية تاريخية .

في الشباك الخامس و حتى الثاني عشر يطل السارد البطل من (شباكه)مستمرا في حديثه عن ياسمين مرة مخاطبا و أحيانا متحدثا بضمير الغائب ، و في ذلك كله يطرح أفكاره و آراءه عن الحياة و المجتمع ،وينقل حيرته حيال أحداث أصابت المجتمع العربي بشرخ لايزال يعاني منه حتى اليوم ، و يكون الحل في هروبه إلى القراءة ليفسر الحياة من خلالها ، ويبعده عن تعقيداتها ، وفي ذلك كله يراوح بين المتكلم و الغائب و المخاطب مازجا بين الذاتي و العام .

تطل ياسمين علينا من (**شباك الأوراق**) العنوان الثالث عشر ، تبدأ بنقاط تلخص فيها تجاربها في الحياة ، فتخرج على شكل حِكَم (على الشاطئ ، قريبا من الماء يزهر العشق، تهدأ النفس وتنجلي همومه تذوب شوائبها ويصبح المرء أكثر شفافية.)[24] وتستمر في عرض أوراقها التي تحمل قصتها مع زوجها و عشيقها مبررة لكل انحرافاتها بصيغة المتكلم الجمعي (أليس من الخطيئة أن ندفن أعمارنا مع جثث نمارس معها أمام الناس دور المحبين ونحن نخون مشاعرنا، وأجسادنا بالتفكير بأولئك الذين يملكون أرواحنا ويملئون إحساسنا ووجداننا بكل ما هو نبيل؟ كيف ينتابنا شعور الإثم مع من نحب و أرواحنا وأجسادنا تدنس كل مساء مع من يختلفون معنا بكل شيء غير عقد في ورقة بهتت ألوانها وأصبحنا معهم غرباء بين جدران أربعة؟)[25] هو صراع مع الذات ، الخير و الشر ، كل التناقضات التي يعاني منها المجتمع ،الذي يغفل عن عقاب من يزاولون الإثم في الخفاء ، ويعاقب أصحاب العلاقات العلنية ربما بحجة (إذا ابتليتم فاستتروا) ، في هذا الشباك يعلو صوت الحيرة ،وهي دلالة على توهان مجتمع ترك قيمه و لهث وراء متعه ، هي أوراق تبوح فيها المرأة بمعاناتها .

ولا تختلف في جوهر الموضوع العناوين التالية (**شباكها 16،15،14-19-20-24-25-26**) وتختلف طرق السرد ، فهي كمذكرات تدون فيها آلامها و ذكرياتها مع الآخر الرجل ، و تختلف الصيغ كذلك ، ففي الشباك الرابع عشر بدأ بضمير المخاطب (صوتك نهر من الهمسات ...)[26] و الشباك الخامس عشر بدأ بحديث عن الغياب (غاب وجه

أمي الذي كنت الجأ إليه كلما عصفت بي المحن!)([27]) ليتبدل الحديث في ثنايا السرد ويصبح حديث الذات (هربتُ إلى التي أضحت رفيق وحشتي في سريري الذي تعود البرد والفقد وأصبح يشاركني لوعتي)([28]) و تطغى في هذا الشباك المرأة و معاناتها : زوجة و أما و امرأة عاملة في مجتمع ذكوري ،نظرته للمرأة نظرة دونية ملوثة بالشك و الريبة ،مما يدفعها إلى الارتماء بين يدي المنقذ من وجهة نظرها . وتأتي بقية الشبابيك المضافة إلى الهاء العائدة على المرأة (شباكها) في حوار استبطاني مع الذات ، واسترجاع للذكريات الجميلة مع الحبيب ، و الحزينة مع الزوج الذي زادت معاناتها معه حد المرض ،فلجأت إلى الطبيب ، ومن هنا جاء العنوان الثالث و العشرون و الثالث و الثلاثون موسوما ب(**شباك الطبيب**) ومنه يطل علينا الطبيب متحدثا عن ياسمين و مرضها ، استمع إليها طويلا ثم شخّص المرض الذي وصفه بالمرض اللعين([29]) كل ما أضافه هذا الشباك إعلان مرض ياسمين الذي تخفيه عن كل من حولها .

وفي (**شباك السارد**) المتكون من ثلاثة أسطر ، يطل السارد علينا وهو حائر من اعترافاته لصديقه " أسراري وأوراقي التي أبخل بها على أقرب المقربين أجدني أقدمها له بارتياح، لماذا أجد راحتي وأنا أعري له نفسي؟ "([30]) تلك الحيرة نجدها تنبعث من (شباك بواب العمارة)العنوان الثاني و العشرون ،وهو عنوان أطول من سابقيه إذ يتكون من ثلاث كلمات : شباك + بواب + العمارة ، و لكل دلالته ، فالشباك له دلالة الانفتاح على الخارج ، و البواب مهنة ، العمارة مكان المهنة ،وأيضا البواب هو الذي يحرس العمارة ، ويعلم بأسرار كل سكانها ،لذلك هو في حيرة مما رآه من تصرفات ياسمين "هل هي مصابة بجنون ما حتى تقوم بهذه الحركات؟ "([31])، ويتكرر هذا العنوان مرة أخرى ، بعد ثلاثة عناوين ، حيث تتطور الحيرة لتصبح شكوكا ،و ارتيابا يلاحق ياسمين ، و هذه الشخصية الفضولية هي انعكاس لثقافة بيئة ،و مجتمع اعتاد على التدخل في شؤون الآخـــرين .

(شباك المؤلف) العنوان الثامن والعشرون ، يطل علينا المؤلف من خلاله ، ساردا أحلامه أن يكون كاتبا معروفا ، و تحديدا كاتبا للرواية ، ثم حدد نوعها " ارتحت لرواية الأصوات، هذا النوع غير المطروق كثيرا و السهل الممتنع في نفس الوقت)([32]) ، هـــذا الشباك يطرح فيه الكاتب بعض الأحلام أو بالأحرى الأوهام التي يقع فيها بعض من يحاول أن يمتهن الكتابة "عليك بالرواية التي لن تكلفك غير الإصغاء لوالدتك ولجدتك وجارك لتدبج عشرات الروايات... ستفتح لك الأبواب وقد تقع روايتك بيد "نجدة أنزور" ويصنع منها عملا سينمائيا، وقد تترجم لأكثر من لغة و تنهال عليك عروض

الترجمات والمقابلات ...)[33] بهذا الشكل الساخر يعرض ما يواجهه الكتاب و المؤلفون في المجتمع العربي ، العنوان التاسع والعشرون (شباك عامل التنظيفات) بضمير المخاطب يتحدث العامل مع ذاته " كيف انتهت بك الأيام ؟(34) لم يكن عاملا في بداية حياته ، و لكن تقلبات الحياة و دورتها جعلته ينتهي إلى عامل نظافة في أرقى الأحياء ، على مدى الصفحات الأربـــع يلوم ذاته و يعاتبها على تهاونها في أن يكون شيئا ، و لو ربطنا بين هذا الشباك و شباك آخر من شبابيك ياسمين (شباكها 16) تتحدث فيه عن انجذابها نحو عامل التنظيفات " نظرته مختلفة عن نظرات الرجال، ليس فيها إحساس الرجل بالأنثى أبدا، في نظراته سمو وترفع وفي حديثه وعي أكبر من مجرد عامل نظافة" [35] ، و كذلك في (شباك السارد) حيث ذكر اسم (رافع) على أنه صديقه " لماذا أهرب لصديقي رافع وأضع بين يديه كل ما يحدث لي؟ "(36) ، إذًا فالعناوين يفضي بعضها إلى بعض ،و يفسر بعضها بعض .

(شباك الصوت) 30 تطـــل علينا ياسمين من خلاله ، بأصوات متمردة ، و أسئلة وجودية حائرة بدون هدف سوى سرد الأسرار والبوح لذاك الحبيب بإحساساتها و ومعاناتها و انتظارها له " ألتذ بذلك الألم كأنني أتخلص من أوجاعي ويضطرني أن أستسلم لواقع يبدد من حولي ظلمة الوحشة! هل ما سأقوم به نوع من الخلاص بالكلمات؟"[37] وهكذا في كل هذا الشباك تحدث ذاتها ، ويضع الكاتب آراءه و أفكاره على لسانها ، فكان صوت القلب هو الطاغي من الصوت إلى (شباك التنظير 31) حيث ترتفع أصوت مغايرة للصوت السابق ، فالحوار الدائر في هذا الشباك حوار سياسي ، في صالون سياسي ، تلمح فيه تنظيرا من طرفي الحوار (- عندما يفقد السياسي حماسه ولا يجد خريج الجامعة وظيفته ويصبح الإنسان نهبا لتغول الأسعار ويفقد القانون هيبته وتتقلص وظيفة الدولة لفض نزاعات فردية وقبائلية ويتحول المجتمع إلى قطيع من الوشاة ويرتفع مؤشر الجريمة بسرعة الصاروخ وتصبح ملامح الناس صفحات لا ترسم غير المبالاة، ماذا يمكنك أن تقول؟)(38) في الحوار سخرية مبطنة من أصحاب القرار في الوطن العربي ، فهم ينظّرون كلاما ، ولا يطبقون فعلا لأن الأمر خارج عن إرادتهم . ونترك التنظير السياسي لننطلق مع الكاتب إلى العنوان الثاني و الثلاثين (شباك الطفولة) الذي يشبهه عنوانان آ خران : العنوان الخامس و الثلاثين (شباك الكتابة للطفل)، والعنوان السابع و الثلاثين (شباك بئر الطفولة) تتشارك العناوين في كونها تتحدث عن الطفولة التي تحمل دلالة البراءة والنقاء ، إلا أن شبابيكها تنفتح على شخوص مختلفين ، يطلون بمعاناة مختلفة ، فشباك الطفولة نطل من خلاله على وجع

المرأة الملازم لها منذ الطفولة ، وشباك كتابة الطفل يعبر عن انعدام الوعي عند كثيرين من الكتاب بما يحتاجه الطفل في القصص الموجهة له ، أما شباك بئر الطفولة فهو يحدثنا عن معاناة الطفولة ،و عمق أثر هذه المرحلة العمرية في تكوين الطفل ،خاصة اليتيم ، فالكاتب يطل بنا عبر الشبابيك الثلاثة على احتياجات الطفل ،ويلفتنا(الأهل و الدولة) إلى الأخذ بيده حتى يصل إلى بر الأمان . وفي العنوان الرابع و الثلاثين يطل علينا الزوج من شباكه (شبــاك الزوج) يحمل هذا الشباك مفارقة ، ففي الوقت الذي تعاني ياسمين من زوجها ، و تنعته بأسوأ النعوت ، يحاول هو مساعدتها على الشفاء من مرضها ،مع حسن الظن بها (تحملت الكثير من عصبية ياسمين ونزقها ، هي متأكدة أنني لا أعرف شيئا ولكنني أفعل ذلك لأساعدها على الشفاء)([39]) ، وعندما نصل إلى الشباك السادس والثلاثين نجده عنوانا مراوغا (شباك المنفى) فالمنفى يحمل دلالة الإبعاد القسري ، ولكنا نكتشف أن المتن لا يحمل منفى، بل لا علاقة له بالمنفى واقعا و دلالة ،فهو يروي لنا قصة التعلق الأول ، و الانجذاب من امرأة إلى رجل (من عالم المجهول أطلّ، كلمة عابرة كانت، ما كان المتخيل ولا المأمول أن ينهار خلفها جدار الصمود والتحدي والرزانة والخفر الذي يليق بها.)([40]). العنوان الثامن و الثلاثون (شباك السؤال) يطل علينا بأسئلة عن أحداث المنطقة العربية ، و المؤامرات التي تحاك ضدها " التاريخ المعاصر يحتاج لوقفة تأمل بعيون ناقدة متخصصة غير منحازة... كثيرون من يطلقون الرصاص فهل وعينا الهدف من إطلاقه في هذا الوقت؟ " ([41]) على غرار هذا السؤال ،كانت كل الأسئلة المطروحة من خلال هذا الشباك ، و تنتهي الأسئلة في صفحتين ،لندلف إلى العنوان التاسع و الثلاثين (الخيبة) وفيه تطل علينا خيبة فقير اعتقد أنه وصل إلى طموحه ، و نسي نفسه فلعب مع من يدسون السم في العسل ،فكان سقوطه مخيبا لآماله "حملت ما اتفقنا عليه في سيارتي التي أهداها لي لم أكن على علم أن معلمي هو من وشــى بي حتى يتخلص من عنادي وطمعي وطموحي بالضربة القاضية والى الأبد "([42]) ، وهذه الخيبة تقابلها خيبة أخــرى تطل من شباك آخر ، و فيه . العنوان الأربعون (شباك لماذا كرهت أبي ؟) جاء العنوان مختلفا ، بصيغة الاستفهام، ويطرح قضية علاقة الآباء بالأبناء ، وأثر قسوتهم غبر المبررة عليهم ، الحديث بضمير المتكلم بما يشبه المذكرات . تطل علينا في العنوان الواحد والأربعون (الخشية من شباكها) حيث نستمع إلى معاناة الشباب الكادح و ضعفه أمام أصحاب المادة ، و استغلال الأغنياء للفقراء . ويطرح في العنوان الثاني و الأربعين (شباك الطباعة) معاناة الكاتب العربي أمام الناشر ، و كيفية تسويق كتابه ، و استغلال

إبداعه ،و التدخل فيه من قبل الرقابة " ...إن قدر لمخطوطك المرور بأمان من بين أنياب الرقابة فسيكون مشوارك أطول من الناشر التاجر الذي يبتزك بدعوى كساد السوق وضعف الإقبال على الشراء..."([43]) ، ويعرض في العنوان الثالث و الأربعين (شباك الإقالة) النفاق الاجتماعي ، من خلال قصة إجبار موظف على الاستقالة ، فابتعد عنه من كانوا يتملقونه بمجرد إقالته من منصبه . (شباك القراءة) العنوان الرابع و الأربعون ، عنوان مراوغ ، فليس هناك ما يربط العنوان بما في المتن ، إلا إذا أراد الكاتب أن يلفتنا و يجذبنا نحو القراءة ، فالحوار يدور بين ابن و أبيه عن كيفية مجابهة الحياة ، و الأب بحكمته يجيب ابنه بطريقة مقنعة . وفي (شباك الخيبة) العنوان الخامس والأربعون ، تكون الخيبة حقيقية أمام محقق بارع وقف عاجزا أمام اثبات تهمة على متهم ، فوصل إلى قناعة "هذا المتهم مطلع على خططنا وحركاتنا وأسرارنا فإما أن يكون هو قائد العمليات الكبرى أو شريكا للمروج الأول " [44] فكانت خيبته كبيرة . أما (شباك الكواليس) العنوان السادس و الأربعون ،فهو مختلف عن سابقيه ، حيث يطرح قضية لها انعكاساتها على المجتمع العربي بصفة خاصة ، وهو الانتشار الفوضوي للقنوات الفضائية ، التي تخرج إلى المشاهد بمظهر رصين ،و هي في الحقيقة عكس ذلك " الحقيقة أنا متفاجئ بالتحرر هنا ! كنت إذا رأيتكم على الشاشة أعتقد أنكم حتى لا تدخنون "([45])، وفي العنوان الأخير السابع والأربعين (شباك الختام) تطل علينا معاناة فراق المحبين ، وربما اختارها الكاتب لتكون في الختام لأنها معاناة إنسانية عامة ، و ليست معاناة مجتمع فقط .

الخاتمـــة:

نخلص من هــذه الدراســة إلى أن الكاتب

1- تخيّر عناوين روايته (الخارجية والداخلية) بعناية ، بحيث توافق المتن ، و تكون اختصارا له .

2- اعتمد الكاتب في بناء نصه معمارية غير اعتيادية ، إذ اعتمد معمارية تعدد الأصوات ، يحمل كل صوت قضية سياسية أو اجتماعية ، وينبعث من شباك يحمل عنوانا يلخصها مصورا من خلالها معاناة مجتمعه بمختلف طبقاته و تنوعاته .

3- من خلال العنونة يرى الكاتب أن الحياة شبابيك نطل منها على الآخر .

4- حمل العنوان الخارجي (همس الشبابيك) دلالة رومانسية ، تجذب القارئ . الذي يرسم في مخيلته تصورا خاصا عن الرواية من خلال هذا العنوان، ليكتشف أن الشبابيك

ماهي إلا رمز لعيون الناس التي تراقب ما في حياتهم من قصص ، و تحمل معاناة مجتمع بأكمله .

5- ارتبطت العناوين الداخلية بمتونها ، التي أطلت علينا بلغة شاعرية ناقدة لسلبيات المجتمع

6- جاءت الرواية على هيأة مذكرات صيغت من قبل شخوص الرواية ،التي سمعناها تتحدث بضمير المتكلم تارة و تارة أخرى بالمخاطب و الغائب .

7- تكررت بعض العناوين لأنها تعالج ظواهر أو قضايا لها بصمتها في حياة المجتمع.

8- تصنف الرواية ضمن روايات تعدد الأصوات ، أي : (البولفونية) ؛ لذلك تعد أرضا خصبة لدراسات أُخرى تسبر غور هذا النوع من الروايات

الهـــوامش:

* الكاتب سمير أحمد الشريف عضو رابطة الكتاب الأردنيين ، وهو يشغل عضو اتحاد الكتاب العرب ، يكتب القصة القصيرة ، والدراسة النقدية ، صدر له : الوجوه والأقنعة : دراسات ومكاشفات فـــي الرواية السعودية الحديثة ، نادي الطائف الأدبي ، المملكة العربية السعودية 2011م، ترجمة مسرحية هنريك آبسن : بيت الدمية ، صدرت عن وزارة الثقافة العراقية ضمن ، مطبوعات بغداد عاصمة الثقافة ، 2013 م، والزئير بصوت مجروح : قصص ، دعـــم وزارة الثقافة، الأردن ، دار الينابيع ، 1994م ، وعطش الماء : قصص ، دعم أمانة عمان الكبرى، الدائرة الثقافية، دار أزم.

[1]) لسان العرب . ابن منظور ، ط : 2، 1994 م ، دار صادر ، بيروت لبنان ص290- 294.

[2]) العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبـــي . محمد فكري الجزار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م ، د. ط ، ص 15

[3]) سيميوطيقا العنوان . جميل حمداوي ، د. ناشر ، ط: 1 ، 2015م ص9

[4]) الخطاب السردي في أدب إبراهيم درغوثي . شادية شقرون ، دار سحر للنشر ، تونس ، د. ط ص87

[5]) العنوان في الأدب . محمد عويس ،مكتبة الأنجلو المصرية ، ط1 . 1988م ، ص17

[6]) تداخل النصوص في الرواية العربية . حسن محمد حماد ،

[7]) ينظر : حميد لحمداني . بنية النص السردي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء –المغرب ، ط3 ، 2000 م، ص59

[8]) رضا عامر . سيمياء العنوان في شعر هدى ميقاتي ، مجلة الواحات للبحوث و الدراسات ، مجلد 7 ،عدد 2014،2م ، ص131

[9]) حميد لحمداني . بنية النص السردي ص60

[10]) كما يحمل دلالات عدة منها هو لون القحط في صورة الرمال ولون الفخامة في صورة الذهب وبالموت و الفناء في صورة الأوراق المتساقطة في الخريف ...إلخ .

[11]) سيميوطيقا العنوان . جميل حمداوي ، دون ناشر ، ط1، 2015 م ، ص51

[12]) نفسه ،ص13

[13]) لسان العرب . ابن منظور ، دار صادر ، بيرو ت - لبنان ، ط 3 ، مادة : همس ص 250

[14]) الرائـــد . مسعود جبران ، دار العلم للملايين ،بيروت لبنان، مادة شباك

[15]) همس الشبابيك . سمير أحمد الشريف ، ص: 10

[16]) نفسه ص: 10

[17]) نفسه

[18]) نفسه

[19])نفسه ص13

[20]) نفسه ص14

[21]) نفسه ص14

[22]) نفسه ص 16

[23]) نفسه ص17

[24]) نفسه ص39

[25]) نفسه ، ص 40

[26]) نفسه ص 45

[27]) نفسه ص47
[28]) همس الشبابيك .سمير أحمد الشريف ص47
[29] نفسه ص 122
[30] نفسه ص64
[31]) نفسه ص
[32]) نفسه ، ص79
[33]) نفسه ص 78
[34]) نفسه ص 82
[35]) نفسه ص50
[36]) نفسه ص 64
[37]) نفسه ص 87
[38]) نفسه ص 112-113
[39]) نفسه ص123
[40])نفسه ، ص 129
[41]) نفسه ، ص 138
[42]) نفسه ص 142
[43]) نفسه ص152
[44]) نفسه ، ص 166
[45]) نفسه ص 170